محمود محمد الناكوع

# الحب والجمال
# في الإسلام

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

# الحب والجمال
# في الإسلام



## مقدمـــه

### الحب والجمال فى الاسلام

الحـــياة الانسانية بدون حب تصبح قاسية جافة لا تطاق، وبالحـــب والمودة بين الناس تصبح أكثر متعة وراحة ، ولذلك خلـــق الله هـــذا الانسان وفى داخل تكوينه فطرة الحب ، أو غريـــزة الحـــب كما يسميها علماء النفس ، ومن لطف الله وإعجازه أن جعل الحب قيمة عظيمة، وحث المؤمنين على أن يكون الحب خاصية من خصائصهم، ودعاهم إلى إشاعة الحب بينهم ، ثم إشاعته مع الآخرين من البشر ، بل إن الحب عند رســـول الاسلام يتسع ليشمل المكان (الوطن مكة والمدينة ) والجبال (أحد ) ووضع الاسلام للحب مراتب ودوائر يتصل بعضها بالبعض الآخر فى قوة وانسجام .

ومـــن يقرأ مصادر الاسلام ، وفى مقدمتها القرآن ، قراءة شـــاملة وموضوعية سيكتشف أن الاسلام فى جوهره ، وفى أصـــوله هو دين هداية وإيمان وحب وجمال، وهو دين يضع

الأخـــلاق وقـــيمها الانسانية على رأس أهدافه تربية وثقافة وعلاقات اجتماعية . ومن بين تلك القيم الكبيرة الحب . وفى القـــرآن الكـــريم ، وفى السنة النبوية نجد حشدا من الآيات ، وحـــشدا من الأحاديث التى تصب فى اتجاه ترسيخ قيم الايمان والهـــدى والاخلاق والتعاون والمودة ، أكثر من تلك الآيات والأحاديـــث الـــتى تصب فى اتجاهات سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ، رغم أن الاسلام يهتم بجميع قضايا الحياة . ويبدو لى أن غـــياب العـــدل الاجتماعى فى البلاد الاسلامية عامة ، وتدهور أوضاع التعليم ، وارتفاع نسبة الأمية، والتخلف الذى أصـــاب المجـــتمعات الاســـلامية لقرون طويلة، شد الأفراد والجماعات الى الاهتمام بذلك الواقع على حساب بعض القيم الانسانية ومنها قيم وثقافة ( الحب والجمال) وهذا الخلل هو الـــذى يستدعى التنبيه والتذكير ، ويستدعى الكتابة عن هذه الأعمـــدة الأخلاقية لأن وجودها وحضورها الفعلى فى ثقافة المجـــتمع الاسلامى ، هو ملح الحياة الاجتماعية ، وهو المذاق الحلو فى العلاقـــات بـــين الناس ، كل الناس على اختلاف أديانـــهم ، ومعتقداهم ، وألسنتهم ، وألوانـــهم ....

هـــذه القيم ، قيم الحب والجمال هي التى تفتح القلوب والعقـــول لقبول الآخر ، بل هي التى تدفع الآخر نحو الاسلام وفهمـــه والـــتعايش مـــع المؤمنين به ،وتدفعه نحو البحث عن مـــصادر هذه القيم . وفى هذا البحث سنثبت أن هذه القيم

تحتل مساحات كبيرة فى أهم مصادر الدين الاسلامى ، وهما القرآن والسنة النبوية. وبذلك يتأكد لكل منصف أن الاسلام فى عمومه وفى أهدافه العليا وفى أصوله هو دين الرحمة والاخاء والمحبة والجمال والسلام والتعاون بين الناس كافة.... وما سوى ذلك من القضايا فهي استثناءات ومنها : حالات الحروب والنزاعات وما تثيره من خلافات وعداوات وكراهية ونفور.

وهذه القيم ، قيم الحب والجمال ، مضبوطة وموجهة للارتقاء بمشاعر وغرائز الانسان ، حتى يكون فى أحسن صورة من صور التكريم والنبل والشرف والعزة ..... ولكن – من المؤسف – أنه رغم كثرة النصوص التى ستصاحبنا على صفحات هذا الكتاب ، فان واقع المسلمين فى عمومه يتناقض مع تلك النصوص ، وهو واقع شديد الاضطراب بسبب غياب أو نقص هذا النوع من الثقافة فى الحياة الاجتماعية ...

ولعل انتشار الأمية ، وضعف مناهج التعليم ، وتفشى الفساد الادارى والمالى ، وغياب النظم السياسية العادلة ، هي من أهم الأسباب التى جعلت قيم الحب والجمال لا تلقى اهتماما جيدا فى مراحل التعليم المختلفة ، كما أنها لا تلقى اهتماما واضحا فى منابر التأثير الاجتماعية ، مثل المساجد ووسائل الاعلام ، والندوات والمحاضرات العامة . كل ذلك

ســاهم فى تقلــيص مساحة الحب والجمال فى ثقافة أغلب المنــتمين الى الاسلام ، وهذا النقص أوجد سلبيات كثيرة فى حــياة المــسلمين ، ويمكـــن ملاحظـــة ذلك فى أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية والسكنية .

وهذا الواقع هو الذى عكس صورة الاسلام لتبدو فى أعين مـــن لا يعرف مميزات الاسلام انه دين يقود الى التخلف والى الكراهية والى العنف والى ما هو نقيض للحب والجمال .

ان المدخل الطبيعى والصحيح لتعريف الآخر بالاسلام ، أو دعـــوته الـــيه ، هو مدخل الكلمة الطيبة،والفعل الطيب ، وقد أسبغ القرآن علي الكلمة صفات غاية فى الجمال والعمق والقوة ﴿ أَلَــمْ تَــرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْــلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَــا وَيَــضْرِبُ اللَّــهُ الأَمْــثَالَ لِلــنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (ابراهيم: ٢٥ ) . وأوضح أن أحسن طريقة للفعل الطيب القدوة الجــيدة ، والمثل الطيب ، ومن شروط المثل الطيب ان يتحلى صاحبه بصفات كثيرة ، هي صفات إنسانية ومنها اظهار المودة للآخر مهما كانت عقيدته أو لغته أو جنسيته فالاسلام رحمة لكــل العــالم ﴿ وَمَــا أَرْسَــلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَــةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

﴿وَمَــا أَرْسَــلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(سبأ:٢٨) . وسوف نتناول فى هذا الكتاب

تفاصـــيل أخرى عن اتساع مساحات الحب فى الاسلام لتشمل غير المسلمين، مما يؤكد انه رحمة لكل الناس ، وأنه جدير بالهداية والاتباع .

ولعـــل مـــا نلاحظه من صور وأصوات واراء منفرة على شاشـــات الفضائيات من بعض المسلمين – فى مرات كثيرة – وفى الحـــياة اليومية، لدليل على ما وصلت اليه الأمة الأسلامية مـــن ضـــعف وتخلف. كما ان هذا الواقع لابد أن يستفز أهل العلـــم والفكـــر ودعاة الاصلاح، ويدفعهم الى بذل مزيد من الجهد لاحداث التغيير الثقافى المطلوب .

لا يمكـــن أن يحتـــرم الآخرون المسلمين مالم تتغير صورة المـــسلمين فى بلـــدانـــهم ، فى واقعهـــم اليومى ، فى نظمهم التعليمية والاقتصادية والاعلامية والسياسية .

ان عامة الناس من غير المسلمين يتأثرون بشكل أساسي بما تتـــناقله وســـائل الاعلام ، وخاصة الوسائل المرئية التى تقدم الـــصورة والصوت فى وقت واحد . وهذه الوسائل تتعامل مع الأحـــداث وصـــورها ، وتبثها الى العالم... وهذه الصور فى أغلـــبها كئيـــبة أو فـــضة، فلا بد أن تترك صورة سلبية لدى المـــشاهد . وعندما يقال له إن أحد أسباب هذه الصورة ، هو

الاسلام سوف يصدق ، لأنه يجهل حقيقة الاسلام، ولا يعرفه إلا من خلال أتباعه.

تلـــك هي بعض الأسباب التي دفعتني الى الاهتمام بثقافة الحـــب والجمال ، منذ وقت طويل ، وكتبت في الماضي عددا مـــن المقالات الصحافية( انظر كتابي مقالات من لندن الجزء الثاني ) تناولت فيها أهمية الاعتناء بـــهذا النوع من القيم ، ثم رأيـــت أنه من الأفضل أن أطور أفكاري ازاء هذه المسألة وأن أكـــتب كتابا صغيرا ، من نوع كتب الجيب ، ليكون ميسرا للقـــراء مـــن الكبار والصغار ، من الإناث والذكور ، فثقافة الحب والجمال مهمة للجميع . ومما زادني اندفاعا نحو انشاء هـــذا الكـــتاب، أن عـــالم اليوم ، عالم شديد التعقيد، كثير المشكلات والمنغصات، وتكاد تسحقه ثقافة السوق ، ومادية الـــسوق، وموضـــة السوق التي تهيمن عليها الشهوات والمتع والملـــذات العارضة دون ضوابط ، ودون حدود . حتى أصبح نجـــوم الكـــرة ، والغناء ، والافلام ، بحركاتهم وملابسهم هم الأكثـــر تأثيرا في حياة الاجيال الجديدة . كما أن ثقافة العنف والخلافـــات والنـــــزاعات والصراعات ، التي تملأ شاشات الفـــضائيات ، وشاشـــات الانترنت ضاعفت من أزمة الثقافة المعاصـــرة ، وكان كل ذلك على حساب قيم الحب والجمال والسلام والأمن الاجتماعي.

لعـــل القارئ سيجد فى هذا الكتاب الصغير ، مادة تنشط عقلــه وقلبه للتفاعل مع ما يطرحه من أفكار وقيم جمالية كلنا فى اشد الحاجة اليها وخاصة فى عالمنا الاسلامى .

والله أســـأل ان تكـــون ســـطور هذا الكتيب من الكلم الطيب، وأن تعطى نتائج طيبة بإذن الله وتوفيقه ....

لندن

جمادى الأولى ١٤٢٦ هـــ

حزيران /يونيو ٢٠٠٥ م

# القسم الأول

# الحب

# الحب

الحب لغة هو المودة ، وهو نقيض البغض والكراهية . والحب بـــضم الحاء أو كسرها والمحبة، والمودة والوداد كلها تعطى ذات المعــنى. واللغة العربية لغة غنية بمفرداتـــها المترادفة ، وقد حاولت أن أحـــصى الكلمـــات التى تعبر عن الحب بألفاظ عدة فوجدت أنـــها تبلغ أحد عشر لفظا، وربما هناك أكثر من ذلك. و منها : الحب ، المودة ، العشق وهو فرط الحب ، الهيام وهو حب يصل الى درجـــة الجنون ، الصبابة وهي رقة الهوى، الشوق وهو الميلان نحـــو شـــخص معين أو شيئ معين بسبب حبه ، الهوى وهو محبة الشيئ وغلبته على القلب ، الشهوة وهي حب الشيئ والرغبة فيه، الـــوجد وهوشدة الحب .الغرام وهو الولوع بالشيئ ، وهو أيضا الحـــب والعـــشق لدرجة العذاب ، التيم بتشديد التاء وهو ذهاب العقـــل من شدة الهوى ، وتيمه الحب اذا استولى عليه .. وأغراض الحـــب بانواعه كثيرة تتراوح مابين حب يهدف الى المتعة واللذة الـــشهوانية وهو حب عارض لا قيمة إيجابية له، وحب يهدف الى تحقـــيق المـــتعة الروحية والوجدانية مثل حب الصوفية وهو حب خاص ينشغل به عادة عدد قليل من الناس .

أمـــا الحـــب أو الـــود الذى سيدور حول معانيه وأهدافـــه هـــذا الكتاب فهو حب له وظيفة اجتماعية وانـــسانية ، ومـــن مقاصـــده تحقيق نوع من السعادة المشتركة بين الأفراد والأسر والجماعات ، كما أن من مقاصـــده تحقيق الاستقرار والسلام الاجتماعي ، وهو حب مشروع دينيا وأخلاقيا وعرفيا . ويبدو لى أن كلمتي ( الحب والمودة ) هي أشد الكلمات عمقا فى التعبير عن خصائص الحب الايجابى والمشروع ، أما الألفاظ الأخرى الـــتى تستعمل للمبالغة فى وصف حالة الحب ، وتتردد كـــثيرا فى الـــشعر والقصص فانـــها كثيرا ما تخرج عن الأهـــداف المـــشروعة وتـــؤدى الى نتائج سلبية وضارة بالعلاقات الانسانية .

ويمكـــن تعريف الحب بانه العلاقة الجميلة الحميمة المميزة بـــين الانـــسان ومحبوبه من الناس أو غير الناس ،وهي تلك العلاقة الخاصة المليئة بالحب والوداد بين العبد وخالقه ، كما يعبر عنها القرآن **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** (المائـــدة: ٥٤ ). **﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـــهُ وَيَغْفِـــرْ لَكُـــمْ ذُنُـــوبَكُمْ وَاللَّـــهُ غَفُـــورٌ رَّحِـــيمٌ ﴾** (آل عمـــران: ٣١). **﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾** (هود: ٩٠ ) **﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْـــوَدُودُ﴾** (الـــبروج: ١٣، ١٤) **﴿ إِنَّ الَّـــذِينَ آمَـــنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** (مريم: ٩٦ ) .

وقد وردت كلمة الحب فى القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة فى صيغ متعددة ، وبدلالات متعددة . وجميع الآيات التى تضمنت كلمة الحب اثباتا أو نفيا كانت تؤكد عظمة ( قيمة ) الحب فى بناء العلاقات فى صورها ودوائرها المتنوعة .

**١- محبة الله:**

وتأتـــى محبة الله على رأس هرم تلك الدوائر ، وهي علاقة مـــركبة المعانى بعضها عقلي يتمثل فى النظر إلى مخلوقات الله فى السماء وفى الأرض وفى البحار ، وهي مخلوقات بديعة ، ووراءها المـــبدع الأكـــبر والأول : الله ســـبحانه وتعالى ..... وبعضها وجداني عاطفي يتجلى فى القرآن الكريم قراءة أو سماعا وتدبرا . وأكبر دليل على حب العبد لخالقه طاعة أوامره والاخلاص لــــها والاحـــسان فـــيها قدر المستطاع ،ومن أخلص حبه لله سبحانه وتعـــالى- بالانقـــياد لمبادئه - ايمانا وعبادة وسلوكا فقد بلغ أو اقتـــرب من مقاصد الحب الروحاني الوجداني، ذلك الحب الذى يسمو بالانسان وسلوكه فتصبح كل اقواله واعماله فى طاعة الله، وذلـــك من علامات الصلاح والخير الذى سيشمل الآخرين .. ﴿ وَالَّـــذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥ ). فالله هو الخالق للانـــسانَ وهو الذى كرمه بالعقل وجعله خليفته فى الأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرا وباطنا وسخر له أمورا كثيرة فى هذه

الدنـــيا، فى الارض وفى الـــسماء . ولكل هذه النعم لابد ان يحب العـــبد الشكور خالقه ، وأن يظهر هذا الحب فى سلوك يؤكد به طاعـــته والانـــسجام مع نواميسه وما دعا له عبر كتبه ورسله.. وعـــندى أن الحـــب المثمر هو الذى يكسبه المسلم عن طريق الوعـــي والفهـــم والمجاهدة والمعاناة عبر رحلة الحياة ، فيكون بـــذلك عـــبدا شكورا محبا لله ورسوله . وفى سورة التوبة آية طـــويلة تؤكد أن هرم الحب ، يقع عند حب الله ورسوله :

**﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾** (التوبة: ٢٤ ) ... هكذا يظل المسلم المحب لله يتطلع باستمرار نحو السمو والصلاح، وهذا السمو والصلاح يؤدى أيـــضا إلى إحسان العمل واتقانه وهو من الأمور المحمودة عند الله **﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** (البقرة: ١٩٥). ويعلق الشيخ محمد حسين فضل الله على هذه الآية بقوله : ( وتحدث الله علـــى حـــب المحـــسنين هؤلاء الذين عاشوا الاحسان فى أفكـــارهم ، فكرا يقدم الاحسان الى الناس الذين يبحثون عن الحلول الفكرية لمشاكلهم العامة ، وعملا يقدمه للناس ليحسن الى حياتـــهم الباحثة عن قوة لضعفها وغنى لفقرها ، وحيوية لحركيتها ، فيرفع بذلك مستواهم، ويحقق لهم الكثير من الخير فى جميع أمورهم وأوضاعهم ... وهذا هو الذى يمثل أرتباطهم بالله وحركتهم نحو القرب منه ، فيراهم الله فى مواقع الأحسان

لأنفسهم وللناس والحياة من خلال محبتهم له وأقبالـــهم عليه، فيمـــنحهم بـــذلك حـــبا الهيا ليغرقهم فى السعادة، ويغمرهم بالنعيم،ويسير بهم نحو درجات القرب عنده). [1] وفى الحديث: ( اللهم إنى أسألك حبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك ، وحب من يحبك، اللهم أجعل حبك أحب الي من نفسى وأهلى والماء البارد ).

## ٢- محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وبعد محبة الله ، وهي رأس الهرم تأتى محبة رسوله ﷺ فمن يحـــب الله لابد أن يحب رسوله . والمحبة - كما يقول الأمام شمس الـــدين ابن القيم- أنواع متعددة ،فأفضلها وأجلها المحبة فى الله ولله، وهـــي تستلزم محبة ما أحب الله ، وتستلزم محبة الله ورسوله . وفى الآيـــة الـــسابقة مـــن سورة التوبة تأكيد للربط الربانى بين محبة الله ومحـــبة رسوله: ( راجع آية ٢٤ التوبة....) وفى سياق هذه الآية وتفـــسيرها أورد ابـــن كثير فى تفسيره المشهور قول عمر بن الخطاب الى الرسول: ( والله يارسول الله لأنت أحب الي من كـــل شـــيئ الا من نفسى . فقال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحـــدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه . فقال عمر: فأنت

[1] محمد حسين فضل الله: تفسير من وحي القرآن

الآن والله أحـــب الي من نفسى .... وأجمعت الأمة الاسلامية قـــديما وحديثا أن محبة رسول الله من تمام الايمان انسجاما مع القرآن ومع أحاديث الرسول ﷺ ومن تلك الأحاديث: (لايجد أحـــدا حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله... وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ) ويرد هذا الحديث فى كتب الحديث والسيرة بروايات متعددة ، ولكنها تدور حول ذات المعـــانى . وفى حديث جامع ومعبر عن البلاغة النبوية فى كثافة معانيها وقلة الفاظها يقول المصطفى ﷺ :( هل الدين الا الحب فى الله والبغض فى الله ) ويروى عن عمرو ابن العاص أنه قـــال: (ماكان أحد أحب الي من رسول الله ﷺ، ولا أجل فى عـــينى ، ومـــا كنت أطيق أن املأ عينى منه أجلالا له ، حتى لوقيل لى : صفه ، ما استطعت أن أصفه ) وهذه صورة من صور حـــب المسلم لنبيه ، وهي صورة عميقة المعانى والدلالات ، فهي تجمـــع بين الحب والاجلال وتقدير المحبوب لما ينطوى عليه من خـــصائص عالـــية الشأن ، مترامية الأبعاد ، حتى أن عمرو بن العـــاص البطل الشجاع ، والذكي شديد الذكاء، لايستطيع أن يطيل النظر فى رسول الله ﷺ

وتراثنا الفكرى الاسلامى بكل ألوانه الأبداعية نثرا وشعرا وتاريخـــا وقصصا تناول جميع جوانب شخصية الرسول ﷺ، وبكل تفاصيلها : رسولا ، وزوجا ، ومربيا وقائدا . وفى كل ذلـــك التراث يتجلى حب الرسول ﷺ . فهو رحمة للعالمين ،

وهـــو صاحب الخلق العظيم ، وهو مهندس ( مجتمع الحب ) مجتمع المدينة المنورة . ذلك المجتمع الذى بناه من أول يوم على الحب - سأتناول ذلك بشيئ من التفصيل فى فصل قادم -.

### ٣- محبة المسلم للمسلم :

فى دائـــرة ثالثة يتمثل الحب فى العلاقات بين المسلمين ، وفى هـــذه الحالة يتجسد الحب فى تبادل مشاعر الاخلاص فى المـــودة ، واظهار تلك المودة فى الأقوال والأفعال ، فى السراء والضراء .... وهي علاقة حميمة ودافئة تنجذب فيها الأرواح والقلـــوب بعـــضها الى بعـــض فتحصل لذة ومتعة المحبة بين الأطـــراف المتـــناغمة . ويعـــدد ابن القيم أنواع الحب فى الاطار الاجتماعـــى فـــيقول : (مـــنها محبة الاتفاق فى طريقة أو دين ، أو مـــذهب أو نحلة ، أو قرابة أو صناعة ، أو مراد ما، ومنها محبة لنيل غـــرض مـــن المحبوب ، أما من جاهه ، أو من ماله ، أو من تعليمه وارشاده، أو قضاء وطر منه ، وهذه هي المحبة العرضية التى تزول بزوال موجبها، فانه من ودك لأمر ولى عند انقضائه. وأمـــا محبة المشاكلة والمناسبة التى بين المحب والمحبوب فمحبة لازمـــة لاتزول الا لعارض بزوالـــها . ومحبة العشق من هذا

النوع:فانها استحسان روحاني وامتزاج نفساني...) ابن القيم . الطب النبوى .و زاد المعاد.

ان ثقافة الحب مادة أساسية فى بناء المجتمع الاسلامى وقد جعلها الرسول ﷺ المدخل الرئيس لبناء المجتمع الاسلامي الأول، مجتمع المدينة ، حيث آخى فيه بين المهاجرين والانصار. آخى فيه بين من يحمل عادات وتقاليد المجتمع المكى الذى اضطهد المسلمين الأوائل واضطرهم الى الهجرة ، وبين من يحمل عادات وتقاليد يثرب ، المدينة التى استقبلت الرسول ﷺ واصحابه وهم رواد وبناة المجتمع الإسلامى الجديد.... فى هذا المجتمع الجديد ، تجلت عبقرية النبوة فى اسلوب البناء ، ذلك الأسلوب الفريد الذى ظل سمة متواصلة فى مجتمع المدينة المنورة. لقد بدأ الرسول ﷺ عملية البناء بالاعلان عن ( ميثاق الحب ) وقال بالفاظ واضحة للانصار:( أنتم أحب الناس الي ) وقال : ( الأنصار لايحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم الا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم ابغضه الله) وكان يقف أمام الجمع من النساء والأطفال وهم فى طريقهم من عرس فيقول لهم:( اللهم أنتم من أحب الناس الي.. قالها فى ذلك الموقف ثلاث مرات.. وقال فى مرة اخرى تأكيدا لهذا الحب الشفاف المتدفق من قلب الرسول الأمين ﷺ: (لو أن الأنصار سلكوا واديا ، أوشعبا لسلكت فى وادى الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ) ولم يتوقف الرسول ﷺ عند جميل الكلام فى الاشادة بالأنصار بل جسد أقواله فى

شـــكل خطة استراتيجية قابلة للتنفيذ ، وتمثلت تلك الخطة فى سن رابطة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، بين الفارين من ظلم مكة ، وأهل النصرة والكرم من أهل المدينة .... وظهرت أخلاق الانتخاء والنبل والكرم والضيافة ، عند أهل هذه المدينة الـــواعدة بمـــستقبل عظيم. فقدموا الأموال والنخيل والتمور لتـــصبح قسمة معلومة بين الأنصار والمهاجرين ، بل قدموا ما هـــو أغلى وأعلى قيمة من الأموال والطعام، وفى كتب السيرة والحديث أمثلة على ذلك( راجع باب فضائل أصحاب النبي، فى صحيح البخارى وغيره) ورسخ الرسولﷺ مهندس مجتمع الحب رسخ قاعدة الحب بين كل أصحابه ، وضرب لـــهم أمثلة حية فى كـــيف يكون الحب ، فكان يشيد باخلاصهم وجهادهم ، وكان ينهى عن سبهم : (لاتسبوا اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد : اي جبل احد: ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ) وقد أشتهر وذاع حبه لأسامة بن زيد ابن الحارثة رضي الله عنه حـــتى أصبح يدعى ( حب رسول الله ) كما كان يحب والده أيـــضا. وكان يقول ﷺ، ردا على من يطعن فى أمارة أسامة، وهو صغير السن : ( أن تطعنوا فى امارته ، فقد كنتم تطعنون فى امارة ابيه من قبل ، وايم الله أنه كان لخليقا بالامارة ، وأنه كـــان لمن أحب الناس الي بعده ) ويرسم الرسول ﷺ الصورة الجامعـــة لمعـــانى الحـــب والترابط والتضامن بين أفراد المجتمع الاسلامى فى كلام لا يحصل الا عند الرسول وبلاغته : ( ترى

المؤمـــنين فى تـــراحمهم وتـــوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الـــواحد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) ........

أن مـــا تحتاجه الشعوب الاسلامية أفرادا وجماعات اليوم هـــذا النو ع من الحب .... هذا النوع من ثقافة الحب ، وهو الحـــب والـــود المفقود منذ زمن طويل ، ومس أسباب فقدانه عوامل كثيرة ، منها الجهل بأهمية ثقافة الحب وما تعنيه من قيم إيجابية فى بناء الأسرة والمجتمع .

## ٤- المحبة داخل الأسرة المسلمة:

وداخـــل دائـــرة الأسرة تغرس بذور الحب، حب الز وج لزوجته، وحب الزوجة لزوجها ، ثم حب الأطفال ، وهؤلاء الأطفال عندما يكبرون فى أحضان الحب ، سوف يحبون الأباء والأمهـــات .... والرســـول ﷺ يعطينا المثل تلو المثل فى بناء علاقات الحب ، فقد كان يحب كل نسائه ، ولكنه كان يخص عائـــشة بحب أكثر وروي أنه كان يقول عن عائشة أنـــها ( حبة رسول الله ) وتنقل كتب الحديث والسيرة عنه انه كان يقـــول لابنـــته فاطمة (إنـــها حبة أبيك) ويعنى بـــها عائشة رضي الله عنها ، كما روي عنه ﷺ : أنه يستطيع أن يعدل بين نـــسائه فى كـــل شـــيئ الا الحـــب . وهـــو القائـــل : ( اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما لا أملك ) ومع ذلك ظلت سيرته مع زوجاته حسن المعاشرة ، وحسن الخلق

﴿ ومــن آياته أنْ خلَقَ لَكُم مِّنْ أنفُسكُمْ أزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾

(الروم: ٢١).

فالمودة والرحمة بين الزوجين ، هي طبيعة خلق الله ، وهي أيــضا من حكمة الله فلولا المودة بين الزوجين لما أستمر بناء الأســرة ولمــا تم تــربية وتنشئة الأطفال تنشئة يستمر بــها التواصــل البــشرى على سنن وقيم وموازين ثابتة ، هي من خصائص البشر دون غيرهم من المخلوقات ، حيث جعل الله الــزواج بــين الرجل والمرأة فطرة وقانونا لا يقبل التغيير أو التبديل .

وأكــد الرسول ﷺ حبه للبنات ، وأعاد للبنات وللنساء عامــة حقوقهن الآدمية الإنسانية التى كانت مهدورة فى عهد الجاهلية ، وثقافة القبيلة الجاهلية التى كان من خصائصها وأد البنات ، أي قتلهن أحياء خشية العار والفقر، وقد عبر القرآن بوضــوح ودقة عن الظلم الذى كان يمارس ضد المرأة ﴿ وَإذَا بُــشِّرَ أحَــدُهُم بالأُنثَــى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَداً وَهُوَ كَظِيمٌ • يَتَوَارَى منَ القَوْمِ من سُوءِ مَا بُشِّرَ به أيُمْسكُهُ عَلَى هُون أمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ألاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩)

ورزق صلى الله عليه وسلم بأربع بنات من زوجته الأولى خديجة هم : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وعندما يأتيه خبر بأن زوجته وضعت أنثى ، كان يستقبل النبأ بوجه مشرق فرح ، وكان يسارع إلى حمل طفلته وتقبيلها ، وتـهنئة أمها، ثم يأمـر بذبح الذبائح ومد الولائم احتفالا بمولدها .... كل ذلك كان قبل بعثته ، وقبل نزول القرآن على فؤاده ، ثم نزل القـرآن بآيات واضحات :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُـم مِّـن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ (النسآء:١) .

إن مواقـف الرسـول ﷺ من قضية النساء، وقضية حب الأطفـال فى تلك المرحلة من تاريخ الجهل والجاهلية فى البيئة العـربية ، يمكن أن نعتبرها من إحدى مقدمات النبوة ، ومن إحـدى إرهاصات تلك النبوة التى خص الله بـها محمد بن عبد الله ، الذى بعثه الله رحمة للعالمين،رحمة لكل الناس، ومن البديهـى أن تظـل رسالته، رحمة لكل الناس حتى بعد وفاته. ومـن يقرأ سيرة المصطفى فى تعامله مع الأطفال يجد فيضا من المحبة والحنان ، وتجلى ذلك فى حبه لحفيديه الحسن والحسين، حـتى أنه كان ينـزل من المنبر وهويخطب ليحتضن أحدهما (أنظـر صحيح البخارى ) .وفى تراثنا التربوى الإسلامى رأي

جميل وحكيم ينسب لأكثر من عالم : ( لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ) .

وإستمرارية قيم الرحمة من مسئولية كل المؤمنين الواعين بدورها فى معالجة كثير من الأمراض الإنسانية .( ويذكر الشيخ محمد أبوزهرة فى كتابه خاتم النبيين أن الرحمة كانت عنده ذات أثر عام ، وللخلق كافة ، ويذكر أن بعض أصحابه قالوا : يارسول الله أكثرت من ذكر الرحمة ونحن نرحم أزواجنا وذرياتنا. فقال رسول الله ﷺ (ما هذا أريد ، إنما أريد الرحمة بالكافة ). (١)

ومن دروس الحب فى سيرة المصطفى ﷺ أنه كان يخدم أهله، وكان يقول للمسلمين:(خيركم خيركم لأهله،وأنا خيركم لأهله). وتقول عائشة رضي الله عنها : ( ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما قط ، ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب شيئا بيده قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا خير بين شيئين إلا كان أحبهما إليه ايسرهما...) وتقول عائشة أيضا : أن الرسول ﷺ كان دائما فى مهنة أهله أي فى خدمة أهله إلا إذا

(١) أنظر كتاب : علموا أولادكم محبة رسول الله للدكتور محمد عبده يمانى .

شـــغلته الصلاة.... بـــهذا النص الخاص بموقف الرسول من (الضرب) يكون الإسلام ونبي الإسلام قد سبق كل التشريعات الحديثة التى تمنع ضرب الأطفال،وغير الأطفال.

فالمودة بين الأزواج ، ومناخ الحب فى الأسرة المسلمة ، هـــو أهم سبب من أسباب بناء الأسرة السعيدة . والحب هنا لـــيس نزوات طارئة ، وليس شهوات عابرة ، وليس قدرات مالـــية ومادية، الحب أكبر من ذلك ، لأنه قيمة أخلاقية عالية تـــستمد نماءهـــا وإستقرارها واستمرارها من الفهم والصبر ، وتجـــاوز الكثير من الأخطاء والخلافات العابرة . ( إن أحبكم إلي ، وأقـــربكم مـــنى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا، المطـــئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون ..) حديث . فتأمل قـــولهﷺ الذين يألفون ويؤلفون، ومن معانى الألف: الانس ، والحـــنين ، والعهد ، والجمع، فمن أولى بكل هذه المعانى من الأسرة ، وهي حجر الزاوية فى بناء المجتمع . وأي مجتمع تكثر فـــيه نـــسبة الأسر المتماسكة المستقرة ، هو أسعد المجتمعات الإنسانية. والعكس يقود إلى الشقاء والبؤس. (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ) حديث .

ورغم أن الرسول كان خير الناس لأهله ، فإن بيته لم يكن مـــن الملائكة ، وأن نساءه لم يكن من الملائكة ، بل كن مثل غيرهـــن من النساء من حيث العواطف الإنسانية ، ومن حيث

الغـيرة ، ومـن حـيث الاختلاف حتى مع رسول الله ﷺ . وتـروى كـتب الحـديث ومـنها كتاب البخارى مواقف وتـصرفات كانـت تصدر عن زوجات النبي ، وكانت تلك التـصرفات تغضب النبي ، فقد كن يراجعنه ويغضبنه ومنهن عائـشة بـنت (أبوبكـر الصديق) وحفصة بنت ( عمر بن الخطاب).

إذن العلاقات العائلية لاتخلو من حالات الاختلاف والقلق والتوتـر والغـضب ، ويظل الحب والوداد هو المرجع الذى يحاصر تلك الخلافات ، فكل طرف يحرص على تواصل وإبقاء آصرة الحب ، وهي كفيلة بمعالجة كل المشكلات الطارئة ، أما إذا أنـتهت وتقطعت تلك الرابطة ، وحل محلها الكره واستبد بأحـد الطرفين أو كلاهما فيصبح من الصعب استمرار حالة الوئام والسعادة ، وبناء أسرة مترابطة متكافئة يسودها الأحترام المتبادل ..

ومن أسباب نجاح البناء الأسرى، ودوام الحب والاحترام، الـتوافق العقلـي والثقافى ، ويأتى من التوافق أو التقارب بين الـزوج والزوجة فى حظوظ التعليم . فكلما كانت المستويات

التعليمـــية متقاربة بين الأزواج ، كلما كانت أسباب التفاهم والأنـــسجام أكثر قوة ونجاحا ، ولكل قاعدة إستثناء ، فهناك زيجـــات لم تعـــرف توفر هذه المقاييس ، ورغم ذلك كانت زيجات ناجحة .

والبـــيت الـــذى ينعم بالحب ، هو البيت الذى يتربى فيه الأولاد أناثـــا وذكورا تربية تجعلهم أكثر حبا لآبائهم وأمهاتهم وأخـــوتـــهم ، فمحبة الوالدين والبر بـــهما من شروط ومن علامات التدين الصحيح . وأكد القرآن الكريم فى آيات عدة وجوب الاحسان إلى الوالدين وأحترامهما طوال حياتـــهما :

**﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾** (لقمان: ١٤) .

**﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾**
(النساء: ٣٦)

**﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾** (العنكبوت: ٨ )

**﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾** (الاسراء: ٢٣،٢٤)

وأكد الرسول ﷺ فى أحاديث عدة ضرورة البر بالوالدين والاحسان إليهما ، وجعل ذلك على رأس أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى فقال : بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله ، ووضعهما فى مرتبة ، تاتى مباشرة بعد أداء الصلاة فى ميقاتها كما أكد على أهمية صلة الأرحام والأنساب، لما فى ذلك من تعزيز للعلاقات العائلية، باعتبارها ركنا مهما من أركان البنيان الاجتماعى. ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(الأحزاب: ٦). وسط هذه الأجواء من الحب والمودة ينشأ كذلك الحب بين الذكور والاناث ، بين الفتيات والفتيان ، وهوالحب الذى ينشأ قبل مرحلة الزواج ، وهو ذلك الحب الذى تغنى به الشعراء ، وكتب عنه الأدباء والفقهاء ، ودارت حوله قصص وروايات ومجلدات من الكتب . وللإمام ابن القيم مباحث فى هذه المسألة فى كتابه : زاد المعاد فى هدي خير العباد، جعل لها عنوانا: ( فصل فى هديه ﷺ فى علاج العشق) وقال أن العشق هو فرط الحب، وهو عجب المحب بالمحبوب ، يكون فى عفاف الحب ودعارته ) وكتب الأمام الفقيه ابن حزم كتابا فى هذا النوع من الحب عنوانه : ( الالف والايلاف ) ويعلق الشيخ راشد الغنوشى على ذلك

بقوله : (الحب بين الرجل والمرأة هو جزء لا يتجزأ من طبيعة بنيان الكون. جزء لايتجزأ من فطرة الكون .... ويقول أيضا: أن الفقيه ابن حزم قد ألف كتابا فى الالف والايلاف دون ان تصدر فتوى تستنكر على هذا الشيخ الجليل حديثه عن الحب، وقـــصص المحـــبين ، كما أن ابن القيم ألف كتابا فى قصص العـــشاق ، و لم تصدر فتاوى للتنقيص من قدر ابن القيم لأنه ألـــف كـــتابا فى العـــشق والعـــشاق) حوارات قصي صالح الدرويش. وهي حوارات أجراها مع الشيخ راشد الغنوشى ، وأصدرها فى كتاب . وانسجاما مع الفطرة ، فإن الإسلام لا يقـــف مـــوقفا متجاهلا لطبيعة هذا النوع من الحب ، ولكنه يـــتعامل معـــه بطرق إيجابية ويضع الضوابط لتوجيهه وتنظيم أمـــوره، ويدلـــنا الرسول على كيفية ذلك فى قوله : (يامعشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالـــصوم ، فإنـــه له وجاء ) وفى حديث آخر يقول : ( لم نر للمتحابين مثل النكاح ) أي الزواج .

ومن أهم الضمانات أن يجرى هذا الحب بصور صحيحة ، أن يكون المجتمع قد تشبع بقيم الحب فى البيوت، وفى العلاقات العامـــة، وان تترســـخ تقاليد يضعها المجتمع الإسلامى ، ذلك المجتمع القادر على التجديد، ومعالجة ما يستجد من تطورات عـــبر الـــزمان والمكـــان. وفى عالم اليوم ، تتلاقى الاجناس ،

والـــثقافات ، والأديان ، فى شتى المجالات ، وفى شتى البقاع .
والحـــصانة القوية للمرأة وللرجل ، للشبان والشابات تاتى من داخله ، من تربيته ووعيه ، وتلك هي أفضل زاد للإنسان ذكرا كان أو أنثى .

## ٥- مودة غير المسلم

ومـــن رحمة الله بعباده ، ومن مقومات الإسلام الكبرى والعلـــيا، جعل الحب مساحة وافقا يسع كل الناس ، والخطوة الأولى إلى ذلـــك فـــتح أبواب التعارف :**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْـــنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْـــرَمَكُمْ عِـــندَ اللَّـــهِ أَتْقَـــاكُمْ إِنَّ اللَّـــهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات: ١٣ ) .

وقـــوله: **﴿ وَمَـــا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـــةً لِّلْعَـــالَمِينَ ﴾** (الانبـــياء: ١٠٧ ). وأباح للمسلم ان يتزوج من المسيحيين ومن اليهود ، وهم أصحاب معتقدات فيها ما يخالف الإسلام ، وما يخالـــف عادات المسلمين ، وأكد أن النصارى أهل للمودة : **﴿ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾** ( المائدة:٨٢) .

وهناك آيات أخرى تنبهنا إلى أن حالات الكـره للآخـر( أي من غير المسلمين) ليست عامة ، وليست فى كل الأحوال، فمـن لا يعادى المسلمين ولا يقاتلهم لا يجوز ان يعامل معاملـة العـدو،ولا يصنف من الأعداء ، بل يستحق موقفا آخر **﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾** (الممتحنة:٨)..بل إن القرآن يفتح نوافذ الخير ونوافـذ المـودة والمحبة حتى مع أولئك الذين وقعت العـداوة بينـهم وبـين المسلمين:

**﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** (الممتحنة:٧) ... ويعلق ابن كثير على الآية قائلا : ( أي محبة بعد البغضة ، ومودة بعد النفرة ، وألفة بعد الفرقة ، والله قدير على الجمع بين الأشـياء المتنافرة والمختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة ، فتصبح مجتمعة متفقة ) ويروى السيد شـكيب أرسـلان، أن السيد أحمد الشريف السنوسى قال له :( إن عمـه الأسـتاذ محمد المهدى السنوسى ، كان يقول له : لا تحقرن أحدا ، لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا ، لعله يكون فى نفسه عند الله أفضل منك ، إذ انت لاتدرى ماذا تكون خاتمتـه ) ويعلق السيد شكيب أرسـلان علـى هـذه الكلمـات قـائلا :

( وبمثل هذه الآداب كانوا يأخذون أولادهم ومريديهم ، فكان من هؤلاء أقطاب وأبطال، يتجمل التاريخ بذكرهم) [1]

الأصـــل فى العلاقات بين الناس على اختلاف أجناسهم ومعـــتقداتـــهم هـــو الـــتعارف والتراحم والتعاون والمسالمة والعـــدل ، وهـــذه جميعا تقود الى الحب والمودة . والاستثناء يكون فى الحروب والقتال وهي من الأمور التى تسبب الكره ، وهـــذا الاســـتثناء من الامور الطارئة ولا تستمر البغضاء بين الناس مهما كانت آثار تلك الحروب . ولقد عرف العالم قديما وحديـــثا أمـــثلة كثيرة من تلك الحروب ، التى وقعت داخل القبائل والشعوب والأمم ، ووقعت بين شعب وشعب آخر ، وبين أمة وأمة أخرى فى أوقات معينة ، ثم يعقب ذلك حالات تـــصالح وإتفـــاق وسلام وتعاون .... وهكذا هي طبيعة هذه الحياة دورات متعاقبة ، وأفضل الناس من يستغل دورات الخير والأتفاق والسلام ، لتنمية عوامل الخير والحب وترسيخها بين الأفـــراد والـــشعوب ، وذلك هو طريق الاسلام ، وذلك هو الأصـــل فى الاســـلام، والله ودود رحيم ، ويحب المقسطين، ويكره الظالمين والعدل هو أكبر دعامة للحب بين الناس .

---

(١) حاضر العالم الاسلامى ج٢ ص ١٦٤ .

## ٦- المحبة بين الحاكم والمحكوم ......

ومن أهم دعائم الحب وأنتشاره بين الناس سيادة العدل وثقافة العدل ، ويبدأ العدل من دائرة الأسرة من داخل البيوت ، بين كل الأبناء من الذكور والأناث ،و بـــين الرجال والنساء حتى يصل الى قمة هرم المجتمع ، وفى الحـــديث: (أعدلـــوا بـــين أبنائكم ، أعدلوا بين أبـــنائكم، أعدلوا بين أبنائكم ) قالها ﷺ ثلاث مرات تأكيدا على أهمية العدل ، وما يشيعه من محبة بين الآباء والأبـــناء ، ثم بين الأبناء أنفسهم . وقال أيضا : ( أن لبنـــيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ) ورفض مرة أن يشهد على صدقات خص بـــها بعض الآباء أبناء بعينهم، وحـــرموا منها آخرين .... وقال لهم (أتقوا الله وأعدلوا بـــين أبـــنائكم) ومـــرة أخرى قال لهم : ( سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء) [١]

والعدل الأوسع ، هو العدل السياسي ، الذى يقود الى العـــدل الاجتماعـــي والاقتصادي والتعليمي ، أي

(١) المصدر: نيل الأوطار للشوكاني .

العدل العام الشامل لكل مناحى الحياة . ومسئوليته تقع علـــى الحكام من رأس الدولة ، إلى أصغر مسئول ، فى أصـــغر قرية ، أو محلة . فالمجتمع الذى يسوده العدل ، وتطبق فيه قوانين المساواة بين الناس ، لابد ان تسوده تـــبعا لذلك ثقافة الحب والود بين الحاكم والمحكوم ، وبـــين أفـــراده بصورة عامة ، وفى هذا السياق يقول الرسول ﷺ:(خيار أئمتكم الذين تحبونـــهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونـــهم ويبغضونكم ، وتلعنونـــهم ويلعنونكم ) ريـــاض الـــصالحين، باب الوالى العادل ..... إنـــها كلمات معبرة عميقه نقرأ دلالاتـــها فى علاقة الشعوب بحكـــامهم ، وفى معاملة الحكام لشعوبـــهم . فأغلب الـــشعوب الاســـلامية اليوم تبغض وتلعن حكامها - باســـتثناء حـــالات نـــادرة -، لأنـــهم حكام ظلم واســـتبداد وفـــساد . وبذلك أصبح الحب مفقودا بين الطـــرفين ، وتحـــولت العلاقـــات إلى مسلـــسلات من الـــصراعات المدمرة . ولا أمل فى الخروج من دوامتها إلا بتحقـــيق العدل السياسى والاجتماعى والاقتصادى بين الناس .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة: ٤٢) ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى: ٤٠).

### ٧- أبعاد أخرى للحب :

مـــساحات الحب فى الإسلام تنداح لتشمل عوالم أخرى من الحب، ومن فطرة الانسان السوي ان يحب أشياء كثيرة ، بعـــضها مـــن عـــالم الحيوانات ، وبعضها من عالم الأشجار والنـــباتات ، وبعضها من عالم الجمادات ، وبعضها من عالم الـــسماء ونجومها ، وبعضها من عالم البحار وما تنطوى عليه من مخلوقات وأشجار بديعة .

الاســـلام يطلـــق الانسان ليحلق بكل ملكاته وقدراته فى جمـــيع تلـــك العوالم . ويأتى حب المكان ، وحب الأوطان ليحـــتل قدرا كبيرا فى النفوس والعقول . وقد عبر الرسول ﷺ عـــن حـــبه لمكة موطنه الأول فقال أثناء هجرته الى المدينة : ( اللـــهم حـــبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد) وكان بلال مؤذن الرسول ﷺ كلما حن إلى مكة ردد هذين البيتين :

**ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى أذخر وجليل**
**وهل أردن يوما مياه مجنـــة ... وهل تبدون لى شامة وطفيل**

فيقول له الرسول ﷺ دع القلوب تقر يا بلال .

وعـــبر الرسول عن حبه لجبل أحد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحـــبه) ( أنـــه جبل يحبنا أهله وهم الأنصار ) ويقول بعض المعلقـــين على الحديث : ( وقد يكون من معانيه ، ان المسلمين يحبون جبل أحد بعينه لأنه فى أرض من يحبون، وهم الأنصار ).

ولهذه الأقوال والمعانى دلالات تؤكد حب الأوطان ، فكل البـــشر يحـــبون المكـــان الذى ولدوا فيه وترعرعوا فى سهوله ووديانه وجباله وشوارعه ومدنه ، وفى تراثنا شعرا ونثرا كتب الكثير عن حب الأوطان ، وغيرها من العوالم التى أشرنا إليها سابقا ...

ويلفـــت القـــرآن الكـــريم انتباهـــنا فى أكثر مو ضع إلى حب(الخيول) لما تتمتع به من جمال ورشاقة وذكاء. راجع سور : آل عمران . الأنفال . النحل .

( والخيل كانت وما تزال حتى فى عصر الآلة المادي اليوم، زيـــنة محببة مشتهاة ، ففى الخيل جمال وفتوة وانطلاق وقوة . وفيها ذكاء وألفة ومودة . وحتى الذين لا يركبونـــها فروسية، يعجـــبهم مـــشهدها، مادام فى كيانـــهم حيوية تجيش لمشهد الخيل الفتية) (١)

---

(١) سيد قطب . فى ظلال القرآن .

وفى جـــل هـــذه العوالم يلتقى الحب والجمال ، بل أن مبعث الحـــب فى كثير منها سببه جمال ما فى هذا الكون من مخلوقات ونباتات وأزهار وأشجار وطيور وكواكب . ونجد أن الاسلام بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية ، يفتح امام المسلم آفاقا واسعة للتفكـــر والـــتأمل الذى يقود الى الحب والألفة مع عوالم هذه المخلـــوقات .... وســـوف نتناول، فى القسم الثانى من هذا الكتاب سنتناول جوانب من تلك الابعاد الجمالية وانسجامها مع التصور الاسلامى الذى يتجلى فى جمال القرآن، ويتجلى فى البلاغة النبوية ومنها قوله ﷺ: ( ان الله جميل يحب الجمال).

## ٨ – وسائل تقوية روابط المحبة :

ونقـــرأ فى أقوال وأعمال سيرة المصطفى ﷺ دروسا بالغة الأهمية فى وسائل تعزيز ادبيات وثقافة الحب ، وهذه الوسائل تـــدل على عمق الفهم لطبيعة النفس البشرية ، وما تتطلبه من ترغيب وتحبيب لتقوية أواصر المحبة والمودة ... والمدخل الأول الى قلـــوب ونفـــوس الآخرين هو افشاء السلام ، أو السلام والمصافحة، ومن توجيهات القرآن البليغة فى هذا الشأن قوله تعـــالى: **﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾** (النور: ٢٧ ) .

وقوله﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ( النور: ٦١).. والرسول ﷺ يضع السلام، وافشاء السلام أحد المداخل نحو الحب: ( والذى نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيئ أن فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم ) وفى الاتجاه ذاته يقول ﷺ: ( إذا أحب الرجل أخاه ، فليخبره انه يحبه ) .

وفى دائرة وسائل تنمية ثقافة الحب ، حث الرسول ﷺ على تبادل الهدايا باعتبارها رمزا ودلالة على المحبة : ( تهادوا تحابوا ) وبلفظ آخر : ( تهادوا تزدادوا حبا ) فالتهادى من الأسباب التى تزيل الوحشة وتنافر الخواطر .

(تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا تذهب الشحناء ) ( تهادوا فان الهدية تذهب الضغناء ) ( تهادوا فان الهدية، قلت أو كثرت تذهب السخيمة) أي الغل.

( تزاوروا تهادوا، فان الزيارة تثبت الوداد ، والهدية تذهب السخيمة) .

ويضرب الرسول بخلقه العظيم المثل فى التواضع ، وفى كسب محبة الآخرين فيقول : ( لو دعيت الى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو اهدي الي ذراع أو كراع لقبلت ) وهو بذلك

يعبر عن سمو الأخلاق ويحث المؤمنين على التحلى بـــها،وأن يقـــبلوا الهديـــة مهما كانت قليلة أو صغيرة، وأن يستجيبوا للدعوة ، ولو كانت لشيئ بسيط مثل الكراع .

وتـــروى كتب الحديث أنه ﷺ كان يتبادل الهدايا مع غير المسلمين، حيث أهدى فى إحدى المناسبات ( إلى النجاشى – ملك الحبشة –حلة وأواقى من مسك ) وقبل هدايا جاءته من كسرى ، ومن قيصر ، وكانت بعض تلك الهدايا من البغال ، وبعـــضها من الملابس ... وفى مسألة قبول الهدايا نزلت آية : **﴿ لاَ يَـــنْهَاكُمُ اللَّـــهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْـــرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِـــبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾** (الممتحنة: ٨ ) . وقد أجاز الفقهاء اعطاء الهدايا للكافر مطلقا،سواء كان قريبا فى نسبه أو بعيدا.[١]

كل هذا الحشد من النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد على آفاق وعظمة قيم الحب والود التى يدعو إليها الدين الاســـلامى ، حـــتى تعم بين الناس ، ويسود بفضلها التراحم والأمـــن والسلام بين الافراد والمجتمعات . وبمراجعة القرآن واحاديـــث الرســـول ﷺ لا نجد ما يدعو الى كراهية الآخر ، أو العـــدوان علـــيه ، إلا إذا كان معتديا ، فيكون الرد عليه بالمثل. **﴿وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾** (البقرة: ١٩٠ ) .

---

(١) لمـــزيد مـــن التفاصيل ، يمكن مراجعة :( نيل الأوطار للشوكانى – باب: قبول هدايا الكفار والإهداء لهم) وفى غيره من كتب الفقه والحديث .

# القسم الثانى: الجمال

# الجمال

الجمال لغة هو الحسن، يكون فى القول وفى الفعل وفى الخلق...

تقول رجل جميل وجمال ... أما الجمال بضم الجيم وتشديد الميم فهي تعنى : أجمل من الجمال .

وتقول امرأة جميلة وجملاء ... يقول الشاعر :

**فهي جملاء كبدر طالع      بذت الخلق جميعا بالجمال**

والمجاملة : المعاملة بالجميل .

والجمال الذى نعنيه فى هذه المقالات، وما فيها من أفكار عامة، هو مجموعة من القيم والألوان والصور والأشكال والأصوات والروائح والمناظر التى تتجلى فيها نغمات الحسن والبهاء ، والتى تترك فى النفس أو فى العقل الاحساس بالمتعة والراحة .

وفى القرآن الكريم هناك آية واحدة جاءت فيها كلمة (جمال ) وصفا لمنظر عام للأنعام ، فى قوله تعالى . ﴿ **وَالْأَنْعَامَ**

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (النحل:٥،٦) .

وهناك بضعة آيات جاءت فيها كلمة جمال وصفا للسلوك أو الفعل الجميل منها:

قوله تعالى ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف:١٨). وفى سورة يوسف ايضا ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ٨٣).

ومن الجمل القرآنية الأخرى التى تضمنت جانبا من البعد الجمالي في القرآن قوله تعالى ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾ (الأحزاب: ٤٩ ) ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ (المزمل: ١٠).

وقد أهتم الفلاسفة والأدباء والعلماء فى أمتنا الاسلامية بالحسن والجمال ، وكتبوا فيه مقالات كثيرة ومعمقة ، وكان الامام ابو حامد الغزالى من رواد من بحثوا فى مسائل الحسن والجمال ، يقول الغزالى : ( ما من شيئ من المدركات الا وهو منقسم إلى حسن وقبيح ... وجمال وحسن كل شيئ فى ان

يحـــضر كماله اللائق به الممكن له ، فاذا كان جميع كمالاته الممكـــنة حاضـــرة ، فهو فى غاية الجمال ، وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقد ما حضر ، فالفرس الحسن هـــو الـــذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو ، وتيسر كر وفر ... والخط الحسن كل ما جمع مـــا يلـــيق بالخط من تناسب الحروف ، وتوازيها ، وأستقامة ترتيبها ، وحسن انتظامها ... ولكل شيئ كمال يليق به ، وقد يليق بغيره ضده ، فحسن كل شيئ فى كماله الذى يليق به ، فـــلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحـــسن به الصوت ، ولا تحسن الأوانى بما تحسن به الثياب ، وكـــذلك سائر الأشياء ... واعلم أن الحسن والجمال موجود فى غـــير المحـــسوسات ، إذ يقال هذا خلق حسن، وهذا علم حـــسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة.. وشيئ من هـــذه الـــصفات لا يدرك بالحواس الخمس ، بل يدرك بنور البـــصيرة الباطنة ) الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء . سيد صديق عبد الفتاح . وللجمال موضوعات تمثل دوائر مبثوثة فى الكون وفى الأنفس وفى الحيوانات والجمادات:

### ١ — النظافة:

ومـــن أهم وأعظم وأجمل ما نقرأه فى كتب فقه العبادات أن أول بـــاب مـــن أبواب تلك الكتب باب الطهارة ( وهي الدائرة الأولى فى الجمال كما يتناوله هذا البحث ) .

فالطهـــارة هي أول خطوة فى مسيرة الاسلام ، وهي أول عمل تعبدي ينفذه المسلم لتصح بقية عباداته من صلاة وصيام وحـــج .... ويفـــضل ان يكـــون المسلم على وضوء فى كل الأوقات ما استطاع الى ذلك سبيلا .....والطهارة اي النظافة هي أول درس يتعلمه المسلم فى ثقافة الجمال .

والطهارة فى ظاهرها نظافة الجسم والثياب من النجاسات والأوساخ ، وفى حقيقتها وجوهرها هي التنـــزه والكف عن الاثم وما لا يجمل . ويقال فى هذا السياق فلان طاهر الثياب لأنـــه حسن جميل الاخلاق ، وقد أسهب علماء وفقهاء الأمة الاســـلامية فى دراسة تفاصيل وجزئيات الطهارة حتى بلغت مـــئات الـــصفحات عند بعض الباحثين ، منهم الشوكانى فى كـــتابه نـــيل الأوطار .... وفى حالات أخرى ارتفع معدل الاهـــتمام بالطهارة وبالمياه وأنواعها وخصائصها إلى عدد من المجلدات حيث كتب الشيخ محمد باقر الصدر ثلاثة مجلدات فى فقه الطهارة تحت عنوان (بحوث فى شرح العروة الوثقى) وهذه الجهـــود العلمـــية تدل دلالة كبيرة على أهمية النظافة فى حياة

وحـــس المسلم، والنظافة هي إحدى القيم الجمالية.. وقد دعا الرســـول ﷺ المسلمين إلى نظافة أجسامهم، ونظافة ملابسهم، ودعـــاهم إلى التطيب، كما دعاهم إلى نظافة المكان : وأضع أمامكم عددا من أحاديث المصطفى ذات العلاقة بالجمال

مـــنها حديثه المشهور : ( إن الله جميل يحب الجمال ) ونص الحديث:

قـــال صلى الله عليه وسلم : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة مـــن كـــبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعلـــه حـــسنا قال الرسول إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحـــق وغمـــط الناس .... وقيل تعقيبا على هذا الحديث كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال .[1]

وإنسجاما مع سياق الجمال في الاسلام حث الرسول ﷺ المـــسلمين على اختيار الأسماء الجميلة لأبنائهم إناثا وذكورا ، كمـــا كان يحثهم على إختيار الأسماء الحسنة للأمكنة... وقام الرســـول ﷺ بتغيير عدد من أسماء الأشخاص والأمكنة ، فغير أسم حزن الى سهل ، ومن حرب إلى سلم ، ومن شهاب إلى

(١) نيل الأوطار للشوكاني.

هشام ، وفعل ذات الشيئ بالنسبة للأمكنة فغير الأرض العفرة إلى أرض خضرة ، وشعب الضلالة إلى شعب الهدى ، وهــو الذى غير اسم يثرب الى طيبة [1]

وقال ﷺ ( لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما اســتطاع من طهر ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ) .[2]

## ٢- جمال الملابس :

الملابس هي عنوان نظافة الإنسان المسلم ، ومنها تتكــون صورته لدى الآخرين ، فنظافة ملابسه تدل علــى مســتوى ثقافته الجمالية ، وتدل أيضا على البيئة المحيطة به ابتــداء مــن البيت وأنتهاء بالمدرسة والمسجد والكتاب وغير ذلــك مــن المؤثرات الثقافية. والقارئ لكتب الفقه يجد فيها فصولا تحت عنوان (الترخيص فى اللباس الجميــل )ويجــد حشــدا مــن الأحاديث النبوية التى تحث على النظافــة.ومنــها قولــه ﷺ

(١) زاد المعاد فصل هديه ﷺ فى الأسماء والكنى جـــ ٢

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ٣٨٦

( إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كـريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود، فنظفوا افنيتكم ...) (١)

وكان المصطفى ﷺ يحث المسلمين على تخصـيص ثوبين ليوم الجمعة ، حتى يظهر المسلمون فى صـلاتهم الجامعة مظهرا مقبولا وجميلا ويتناسب مع ما يطلبـه الاسلام من نظافة واستعداد خاص ليوم الجمعة، فقـد روي عنه أنه قال ( ما على أحدكم لو أشترى ثـوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته .... ) وفى البخارى نقرأ قول البراء : ( ما رأيت أحدا أحسن فى حلة حمراء من النبي ﷺ ) وهكذا نجد النبي دائما يقول ويضرب المثل بالفعل ، والفعل أكثر تأثيرا ، وعندما يجتمـع القـول والفعل تكتمل صورة القدوة الحسنة،﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِـرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾(الأحزاب: ٢١ ).

---

(١) نيل الأوطار للشوكانى ج١ ص١٥٨

وكل هذه التوجيهات النبوية تأتى انسجاما مع قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(الاعراف. ٣١ ).

كما تاتى انسجاما مع قوله تعالى :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ.... ﴾ (الاعراف: ٣٢).

هاتان الآيتان جاءتا لالغاء عادات ومفاهيم جاهلية حيث كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ، الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وهو ما دل على فساد أرائهم وعاداتهم وأذواقهم ... وجاء الاسلام ليضع البديل الصحيح ، وتصبح الملابس زينة يتميز بها بنو آدم .

### ٣- جمال الطيب:

الروائح الطيبة تعتبر من الخصائص الجمالية فى حياة وثقافة الانسان المسلم ، وكلما كان المسلم متعلما كلما كان أكثر وعيا لأهمية التطيب ، وقد كان الرسول ﷺ القدوة والمثل فى هذه المسألة، وكان يقول : إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة .... وكان لا يرد الطيب ، وإذا عرض عليه ريحان فلا يرده ويقول عنه : فإنه طيب الريح خفيف المحفل ) ويقول ابن القيم فى كتابه ( زاد المعاد فى هدي خير العباد ) :

(الطيب يفرح القلب ، وييسر النفس ، ويبسط الروح ، وهـو اصدق شيئ للروح ، واشد ملاءمة لـها ، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة ) وكان المصطفى ﷺ ذواقا في أنواع الطيب وروي عنه أنه قال ( أطيب الطيب المسك )

### ٤- الصوت الحسن :

الصوت الحسن ، أو الصوت الجميل نعمة من نعـم الله ، وموهبة من المواهب التي يعطيها الله لبعض عباده ، وهي نعمة وموهبة تستحق أن يشكر صاحبها الله سـبحانه وتعـالى ، وتتجلى قيمتها وأهميتها في صور كثيرة ، ومنها ترتيـل القـرآن الكريم ترتيلا جميلا ، يمتع الأسماع ، كما يمتع القلـوب . وأمـر سبحانه وتعالى بترتيل القرآن﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل:٤). وقد أورد ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خـير العبـاد عددا من الأحاديث التي تعنى بالتغني بالقرآن وتزيينه بالصـوت الحسن الجميل ... وكلما كان الصوت على سـليقته وطبيعتـه كلما كان أجمل من التصنع والتكلف ... والمقصـود بـالتغني بالقرآن كما تذهب بعض الشروح اللغوية والفقهية هو تحسين القراءة وترقيقها .والصوت الجميل تتجلى قيمته وتاثيراته عندما

نـــستمع إلى الخطباء والشعراء والمذيعين والمطربين، فصاحب الـــصوت الجميل يتقدم على غيره من المتحدثين، خاصة عندما يضيف الى جمال صوته جمال مادته . وفى تراثنا الاسلامى يجد الباحث مادة غنية ومثيرة عن جمال الاصوات وجمال الموسيقى ومالهـــا مـــن وظيفة فى ترقية الأذواق وتـــهذيب العادات بل ولمعالجة بعض المرضى . ومن ادلة عمق الحس الجمالى فى تراثنا وتاريخـــنا أن ملوك الموحدين فى المغرب الاسلامى أتخذوا من الأصـــوات الجمـــيلة ، ومن الموسيقى بالذات وسائل للعلاج وادخلوا هذه الفنون الى المستشفيات التى أقاموها على عهدهم وأوقفـــوا علـــى المعـــتوهين حبوسا خاصة يعطى منها للأجواق الموسيقية التى كانت تعزف من المقطوعات ما يناسبهم ... وقد أهتم عبد الرحمن بن خلدون بصناعة الغناء، وتناول الأصوات، وتقطـــيع الأصوات ، وأشار إلى الأصوات المركبة والأصوات البسيطة، كما تناول الموسيقى وأدواتها وانواع تلك الأدوات ، وتحدث عن الجمال والحسن فى هذا الفن وقال أنه من الفطرة والحسن فى المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة . كمـــا تحـــدث الإمـــام أبو حامد الغزالى على الأهمية الذوقية

والجمالية فى أدوات الموسيقى ، وعاب الـــذين لا يتـــذوقون أنغامها ولا ينسجمون مع ما تحدثه من لذة نفسية ووجدانية .
[1]

## ٥- المنظر الحسن:

تعتبر الطبيعة وما تزخر به من أشجار وأعشاب وأزهار ، وبحار وجبال من أهم مواضع المناظر الجميلة ، ومـــن جمالهـــا أصبحت ملهمة للشعراء والرسامين فأبـــدعوا أبـــداعا محببـــا للنفوس والأذواق لدى الأفراد والمجتمعات ، وأنعكس ذلـــك الابداع فى كثير من الأعمال الاسلامية شعرا ورسما ، ومـــن جماليات الفنون الاسلامية الزخرف والخطوط وهندسة المبانى وما تجسده من أشكال وألوان، ومنها المساجد وما فيها من فن معماري ونقوش وزخارف ، ونقرأ فى القرآن الكـــثير مـــن الآيات التى تصف جمال المناظر ومنها قوله تعـــالى **﴿ وَلَقَـــدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾** (الحجر: ١٦ ).

---

(١) لمزيد من المعرفة يراجع (كتاب السماع فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى )
ويراجع أيضا كتاب (الإسلام والفن للشيخ الإمام يوسف القرضاوى )

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ • وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ • تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ • وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ • وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ • رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (ق٦-١١).

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ( الانعام: ٩٩).

## ٦- جمال الكلمة نثراً وشعراً:

الكلمة وما تعبر عنه من فكر وخطرات كانت وما تزال من أرقى وأجمل نعم الله التي ميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات. ومن أوتي قوة الكلمة وقوة البيان وجماله تعبيرا ومضمونا نثرا أو شعرا ، فقد ملك مفاتيح الأدب وملك من خلاله عقول وقلوب الناس ، وخاصة قلوب من يتذوقون النص الأدبي . ومن خصائص اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم،

انـــها لغة تبلغ قمـــة جمالــــــها فى ثلاثـــة أنــــواع مــــن النصوص:وهي النص القرآنى، ونص الأدب المنثور، والـــنص الشعرى .

**٧- جمال الألوان :**

الألوان الجميلة من بيضـــاء وزرقـــاء وحمــــراء وصــــفراء وخضراء، وغير ذلك من الألوان تعتبر متعة للعـــين والـــذوق الجمالي العام ، وفى القرآن الكريم إشارات وإضحات إلى جمال الألوان منه قوله تعالى :**﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُــرُّ النَّاظِرِينَ﴾** (البقرة: ٦٩ ) . وقوله تعالى**﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَــالِ جُــدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَــاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾** (فاطر:٢٧،٢٨).

كل هذه الموضوعات ذات أبعاد جمالية ويتعامل معهـــا الفكـــر الاسلامى تعاملا ايجابيا ويوجهها توجيها إيجابيا بحيث تتحقق المتعـــة دون الخروج عن حدود الآداب والقيم الاسلامية ....

## ٨- الجمال الداخلى : جمال النفوس ، وهو الجمال الأعظم :

وعلـــى رأس هذه القيم الجمالية التى تحدثنا عنها ، ياتى جمال الأخلاق وجمال النفوس ، ومن يتذوق الجمال فى صوره المتعددة التى أشرنا إليها لابد أن يكون جميل الأخلاق جميل المعاملات لأنه صاحب نفس جميلة... وصاحب النفس الجميلة كما يقول بعض الحكماء : هو من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة ، والسيئ الخلق الناس منه فى بلاء ، وهو من نفسه فى عناء .

ولذلك أمتدح الله سبحانه وتعالى رسوله بقوله﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُـــقٍ عَظِـــيمٍ**﴾ (القلم: ٤). ويروى أن رجلا من قريش جاء إلى الرســـول مهـــددا مـــتوعدا ، لكن الرسول عامله معاملة حسنة وبلطف وحنان ، فانتهى بسبب تلك المعاملة إلى محبة رسول الله وقـــال ( والله لقد سعيت إليك وما على وجه الأرض أبغض إلي مـــنك، وإنى ذاهب الآن عنك وما على وجه الأرض أحب إلي مـــنك ) ومن أهم مميزات الحضارة الأسلامية انـــها حضارة محورها الأخـــلاق ، والجمال من منظور اسلامي لابد أن يظل مرتبطا بالقيم الأخلاقـــية . وقد لاحظ المفكر الجزائري مالك بن نبى أن الحضارة الغـــربية تجـــسد تعبيرا عن الجمال أكثر من الأخلاق وقال أن عصر النهـــضة الأوربـــية نصب الجمال كمثل أعلى فى أفق الثقافة الغربية، وأصـــبحت فكرة الجمال تحتل المكان الأول فى عصر النهضة ، بل أن هـــذا الاتجـــاه إزداد قـــوة حتى برزت دراسات تقول ان المبدأ الأخلاقى قد اضمحل فى الفن وسلم مكانه للجمال وحذر مالك

ابن بى من خطورة فصل الجمال عن الأخلاق .... وفى السياق ذاتـــه أكـــد ركـــى نجيب محمود صاحب الدراسات والبحوث والكتب الفلسفية أكد فى المراحل الأخيرة من حياته أن محور حضارة الاســـلام هو الأخلاق ، قال (اذا كانت حضارات اخرى قد ارست قـــواعدها فى المقـــام الأول على الفن أو على العلم أو غير ذلك من أســـس كالـــزراعة والتجارة والصناعة ، فان الحضارة الأسلامية قد أختارت الأخلاق أساسا لـــها) .

وفى الخـــتام لابد من الاشارة إلى أن هذه الأمثلة من دوائر الجمال ليـــست إلا أجزاء من الأبعاد الجمالية فى الاسلام ، أردت بـــها شد الانتباه إلى هذا النوع من القيم ومدى قربنا أو بعدنا منها فى واقعـــنا وحياتـــنا ، كـــذلك لابد من الاشارة إلى أن قيم الحب والجمـــال والخـــير والعدل لا تنمو وتتسع دوائرها إلا مع إنتشار التعليم بين النساء والرجال ، فلا يمكن ان نتوقع من الفرد الجاهل الأمى أو من الأسرة الأمية ، أو من المجتمع الذى ترتفع فيه نسبة الأمـــية ، لا يمكـــن أن نتوقع من هؤلاء فهم وتقدير وتنمية قيم الحـــب والجمال وغيرهما من القيم الانسانية النبيلة و الكبيرة .... ومن رحمة الله ولطفه وعدله بعباده أنه بدأ وحيه إلى آخر رسله ، محمـــد صلى الله عليه وسلم بكلمة اقرأ فهي مفتاح المعارف والعلوم والثقافات ، وهي مفتاح الحب والجمال .

## المـــــــــراجع


- القرآن الكريم .
- تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابونى .
- فى ظلال القرآن سيد قطب .
- تفسير من وحي القرآن الشيخ محمد حسين فضل الله .
- تفسير المراغى الشيخ أحمد مصطفى المراغى .
- صحيح البخارى .
- زاد المعاد فى هدي خير العباد ابن القيم .
- الطب النبوى ابن القيم .
- نيل الأوطار محمد الشوكانى.
- رياض الصالحين الإمام النووى.
- بحوث فى شرح العروة الوثقى الشيخ محمد باقر الصدر .

- فقه السيرة الشيخ محمد الغزالى .
- صفة الصفوة ابن الجوزى.
- إحياء علوم الدين أبوحامد الغزالى .
- الإسلام والفن الشيخ يوسف القرضاوى.
- مجموعة بحوث فقهية عبد الكريم زيدان .
- علموا أولادكم محبة رسول الله محمد عبدو يمانى .
- حاضر العالم الإسلامى شكيب أرسلان.
- أدب الدين والدنيا أبو الحسن الماوردى.
- شروط النهضة مالك بن نبي.
- مشكلة الثقافة مالك بن نبي .
- حوارات قصي صالح درويش مع الشيخ راشد الغنوشى .
- أفكار ومواقف زكى نجيب محمود .
- الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء سيد صديق عبد الفتاح

## فهرس الموضوعات

رقم الإيداع : ١٧٩٨٥ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 225 - 212 - 0